رأي أرثوذكسي في لقاح الكورونا

قدس الارشمندريت كاسيانوس عيناتي

أجرى المقابلة الأب أنطوان ملكي

أجرت التراث الأرثوذكسي مقابلة مع قدس الأرشمندريت كاسيانوس عيناتي، رئيس دير الشفيعة الحارة، بدبا – الكورة، ووكيل مطران طرابلس والكورة وتوابعهما. قام فريق التراث الأرثوذكسي بتصوير المقابلة في الدير يوم السبت في ٢٩ كانون الثاني ٢٠٢١، ومن ثمّ بثّها على صفحات شبكات التواصل الاجتماعي. ما يلي هو نص المقابلة، قام بتفريغه إخوة محبّون للمسيح.

يمكن العودة إلى الفيديو على الرابط التالي

https://www.youtube.com/watch?v=7jX_J08w0UM&t=538s&ab_channel=OrthodoxLegacy

للتعريف، الأرشمندريت كاسيانوس عيناتي درس الصيدلة في جامعة القديس يوسف في بيروت، ومن ثمّ حاز الدكتوراه في علم الأدوية من جامعة جورج الخامس في باريس. وقد مارس أبونا هذا الاختصاص لفترة غير قصيرة، كما مارس التعليم في الجامعة اللبنانية والجامعة اليسوعية ما لا يترك ضرورة للشهادة لتمرّسه بالفكر الأكاديمي. أيضاً الأرشمندريت كاسيانوس حائز على دكتوراه في اللاهوت من معهد القديس سيرج في باريس، وقد أشرف على أطروحته الأب جون بريك ما أتاح للأرشمندريت أن يعمل مع أستاذه، وهو أهم الأرثوذكسيين الذين عملوا في حقل أخلاقيات علم الحياة المسيحي، على عدة نقاط كان للأرشمندريت بحكم اختصاصه مساهمة مميزة فيها.

التراث الأرثوذكسي: سوف نحكي عن لقاح الكورونا. لن نحكي عن الكورونا بحد ذاتها مع أننا نحكي عن مفاعيلها وتأثيرها علينا كمؤمنين وككنيسة بشكل عام. تحديداً، قيلَ الكثير عن اللقاح، عن تركيبته، عن استعمال سلالات من خلايا أجنّة مجهَضة، عن إمكانية أن يتضمّن جزئيات نانو قد تُستَغَل للتحكم بالبشر. البعض يقول أن هذا الكلام غير صحيح ويصنّفه في خانة نظرية المؤامرة، وهناك مَن يؤكّد أن هذا الكلام مثبَت وصحيح. أمام هذا، المؤمن سوف يبحث عن الجواب الصحيح، وبالمبدأ المكان الأول للبحث هو الإنترنت، وعندها يزداد الضَياع. فمَن يعرف الكلام وصحّته ومصدره غير أصحاب الاختصاص؟ إن أمكن أن تقولوا لنا شيئاً في هذا الإطار حتى ننتقل إلى الأهم، الذي هو تأثير هذه الأمور علينا كأبناء للكنيسة.

الأرشمندريت كاسيانوس: ما سوف تسمعونه رداً على أسئلتكم لا يعبّر عن رأي الكنيسة الإنطاكية وإنما هو تعبير عن رأيي الشخصي.

من خلال أجوبتي على الأسئلة المطروحة، أعتمد على خبرتي الشخصية في مجال الأدوية كوني تخصّصت وعلّمت بالجامعة اللبنانية والجامعة اليسوعية وبعدة معاهد ولا أزال، وهذا الموضوع يهمني وأحبّه وأحاول أن أطّلع على كل الدراسات والتفاصيل المتعلقة بعلم الأدوية (pharmacology). ومن

البديهي أن أهتم اليوم بموضوع الكورونا الذي يشغل العالم كله وخاصة في مجالي الطب والصيدلة حيث تنحصر المواجهة.

- **من الناحية الإيمانية:** أقول وأردّد أقوال آباء الكنيسة المستنيرين بأن العلم موهبة من المواهب الإلهية "ولكلٍ منا أعطيت النعمة بمقدار موهبة المسيح" بولس الرسول. أنا أؤمن أن العلماء والباحثين الذين ينكبّون على دراسة الأمراض وخاصة موضوع الكورونا اليوم، هم أشخاص يتمتعون بذكاء كبير ممنوح لهم من الله قد يستعملونه للخير أو للشر كما باقي الناس. ولكنهم سينجحون في الوصول إلى دواء شافٍ ولو لم يكونوا مؤمنين بالله ويرفعوا الصلوات. ذلك أن الشر لا يستطيع أن يغلب الله وعمله كما أن الرب لا يسمح مطلقاً لهؤلاء الكبار بأدمغتهم الكبيرة أن يسيئوا إلى خليقته.
- **من الناحية العلمية:** تمّ دفع مليارات الدولارات لهذه الأبحاث للوصول إلى لقاحات. وسيتم الوصول إلى لقاحات أخرى. وهذه اللقاحات لم توافق عليها نهائياً منظمة الصحة العالمية وإنما وافقت عليها منظّمات الدواء والغذاء في كل من أميركا وانكلترا وروسيا والصين.

هذا اللقاح يمر بمرحلة التجربة وهو بحاجة إلى متطوعين، وقد نصل إلى وقت ونكشف أن هذا اللقاح أو غيره غير فعّال. الأمر يتطلّب أبحاثاً ودراساتٍ معمّقة. وأستطيع القول أن أسهم سوق اللقاح اليوم هي أعلى نسبة مادية وإقتصادية في البورصة العالمية.

وللتوضيح، أحب أن أؤكد - إنطلاقاً من معرفتي الأكاديمية والمنطقية في هذا المجال الذي عشته وخضته وأحببته – أن أي شركة في العالم لا يمكنها أن تستعمل معايير مخالفة للأسس البشرية في أمر كهذا مُعْلَن يُوزّع على ملايين البشر وألوف المختبرات تنتظر "على الكوع" لإستغلال أي خطأ أو غلط.

أتوجه هنا إلى الأشخاص الذين يقولون إن هذا اللقاح مصنَّع بطريقة لا أخلاقية تسيء إلى حرمة الإنسان والأخلاق العامة مؤكداً أن ذلك غير صحيح؛ ذلك أن هناك معايير علمية وأخلاقية وروحية لا يمكن تخطيها.

طبياً، يمكن أخذ خزعة من أي عضو في الإنسان أو خلية ما قد تفيد الأطباء في دراسة بعض الأمراض كالسرطان مثلاً والكنيسة لم تحرّم ذلك. وقد تُستعمل جثة لتعليم تلاميذ الطب مادة التشريح والتعرّف على الجسم البشري وعندما ينتهي العمل على تشريح الجثة تعاد لتُدفن لا لتُلقى خارجاً. إذاً لا يستطيع أحد من العلماء والباحثين والشركات الطبية المصنّعة تخطي المعيار الأخلاقي والعلمي والإنساني في الوقت ذاته للوصول إلى دواء يوضع في خدمة الإنسان والحياة العامة.

من الناحية العلمية، كيف صنعت اليوم هذه اللقاحات المتعددة للوباء الحالي:

هناك اللقاح الصيني واللقاح الروسي المصنوعان بالطريقة التقليدية للقاحات: "داوِها بالتي كانت هي الداء". فقد استعملا فيروساً مائتاً ملطفاً أو شبه حي مخفف. أما عن بقية اللقاحات الأميركية والإنكليزية فقد إعتمدوا طرقاً حديثة في عالم اللقاحات إنما كانت موجودة يعالج بها إرتفاع نسبة الأنسولين في بعض حالات مرض السكري وهي تحفّز عمل البنكرياس على إفراز الأنسولين بطريقة سليمة تحدّ من إرتفاع السكر في الدم. ومما ساعد المختبرات على تهيئة اللقاح بهذه الطريقة أن الدراسات كانت قيد العمل عليها من أجل الوصول إلى طريقة تحدّ من إنتشار الخلية السرطانية. هؤلاء لجأوا إلى جزء من الخلية الفيروسية إلى بروتايين proteins شوكي وحقنوه بشكل رسالة على الـ ARN تدعي = message ARN MARN. إذاً هو ليس بـ ARN وليس له أي علاقة بالـ ADN أي نواة الخلية. هو ليس بشريط وراثي وإنما هي رسالة موجهة ما أن يحقن اللقاح في الزند إلى الـ Cytoplasme في الخلية وليس إلى نواة noyau الخلية (ADN). وبما أن الخلية البشرية مغطاة بطبقة دهنية عليها أنواع عديدة من بروتينات الدفاع عن الخلية. فإن الـ mRNA يحفّز الخلية على تعزيز البروتين الشوكي الذي ما إن يلتقي بفيروس كورونا

حتى يصدّر أجسام مقاوِمة Anticorps تمنع دخول الفيروس إلى الخلية. هذه الطريقة المبسّطة المتّبعة في محاربة الفيروس covid-19 وكل تحوراته. فاللقاح إذاً هو زيادة مناعة الجسم وتهيئة الخلايا للتصدي للفيروس عندما يدخل في جسم الإنسان. وقد تكون فعاليته بطرق مختلفة من مختبر إلى ثانٍ ومن جسم بشري إلى ثانٍ. إذاً اللقاح سليم من الناحية الطبية ولكنه واقٍ وليس بدواءٍ شافٍ.

اللقاح ليس دواءً ومن يأخذه فهو متطوع لديه الرغبة والنية بعدم الإصابة بالكورونا. اللقاح لا يمنع الإصابة بل يلطّفها ويخفّفها ويقوّي مناعة الإنسان بحيث يستطيع الجسم عندها مقاومة هذا الفيروس.

يجب عدم الذهاب بعيداً ونُدخل سفر الرؤيا والمبادىء الروحية على موضوع أراه بركة وليس لعنة، من أخذ اللقاح لن يتجنب الدخول إلى الفردوس ومن لم يأخذه لا يعني أنه وفّر على نفسه النزول إلى الجحيم.

تسألني: هل ستأخذ اللقاح أم لا؟

شخصياً وكصيدلاني، أتريث طالما لست مضطراً لأخذه. ولكن هناك أشخاصاً معرّضين لخطر الموت كالذين يعانون من مرض السكري أو كبار السن أو يعملون في المجال الطبي وهؤلاء مضطرون لأخذ اللقاح.

من ناحية أخرى فإن بإستطاعة المؤمنين الملتزمين، والذين يقرأون سفر الرؤيا وغير مرتاحين من ناحية الطعم، أن لا يأخذوا اللقاح وينتظروا إنتهاء الأبحاث بشأنه. وللإنسان الحق والحرية بأخذ اللقاح أو عدم أخذه وليس بإستطاعة الدول فرض ذلك على الشعب، أو فرض نوع معيّن من اللقاح. أؤكد أن هذه ليست مؤامرة روحية أو لاهوتية لإبادة العالم. هي بركة كبيرة سيحولها الله من أجل خلاص شعبه وهو الذي سمح لهؤلاء العلماء أن يجدوا اللقاح على أمل أن يجدوا الدواء.

كانت كورونا شبحاً يخيّم علينا أو "بعبعاً" يخيفنا ويؤرقنا فصرنا اليوم نواجه هذا الفيروس ببساطة وتعقّل. وكما يشكّل Grippe أو Bronchite و pneumonie خطراً على صحة الإنسان هكذا يشكل الكورونا الخطر أيضاً. لذلك فللإنسان الحرية في أخذ اللقاح أو عدمه. هناك أشخاص يرفضون أخذ أدوية بديلة في حال عدم توفر الأدوية الأصلية ولكلٍ قناعاته العلمية، ولكن في حالات دقيقة وحرجة كما في مرض السكري أو مرض القلب قد تفتك بالإنسان، ولذلك هو مضطر للجوء إلى البديل.

إذاً اللقاح صحيح والإنسان حرٌّ في هذا الموضوع ولكن أخذ اللقاح لا يسمح لأي شخص بالإستهتار والتراخي في إتخاذ الإحتياطات الضرورية ومنها وضع الكمامة والتباعد الإجتماعي وعدم إقامة الحفلات الصاخبة. أخذ الإحتياطات واجب. أما عن الآثار الجانبية كما في الأدوية فهي للطعم مقبولة وهي أخف وطأة من المرض covid-19 نفسه. وستُعرف لاحقاً كل الآثارات الجانبية ونسبتها بعد انتهاء الجولة الثالثة من التجارب.

التراث الأرثوذكسي: اليوم هناك خطان في الكنيسة: خط يقول إذا لم نستمر في التدابير الوقائية وأخذ الطعم وما يُطلب منا من التدابير، يكون هناك نقص في المحبة، بالمقابل خط آخر يقول هؤلاء الذي يتمسكون بهذه التدابير وغيرها هم خائنون. الإنسان يحتار بين هذين الخطين، كيف علينا أن نميّز الصحيح؟

بالنسبة للكنيسة يوجد عندها بالمجمع المقدّس لجنة علمية تهتم بأخلاقيات الحياة وهي تتابع التطورات الحياتية كي لا تدفع المؤمنين إلى الهاوية. وهي تعرف أن اللقاح ليس دواء وقد يكون كافياً لوقاية الإنسان وقد لا يكون.

ولكن بالرغم من ذلك عليها أن تنبّه وترشد وتوضح ولكن لا تستطيع أن تأخذ قراراً طبياً وأن تقول تأخذوا اللقاح أم لا أو تشير إلى لقاح معين دون غيره. هذا منوط بالطبيب الذي يرتاح إليه المريض. والعلاقة بين الشخص والمريض مهمة جداً... كما أن العامل النفسي يلعب دوره في حالات المرض. هناك مرضى يتناولون حبوب دواء خالية من أي دواء (placebo) أو temoin blanc ولكنهم يثقون بالطبيب ويرتاحون لوجه الممرضة فيتجاوبون مع هذه الحبوب.

لا يطلبنّ أحد من الكنيسة أن تنصح المؤمنين بأخذ اللقاح أو عدم أخذه. فالموضوع لا يصحّ إلا بوجود علماء يبحثون في معايير معينة خاصة بكل دولة. ففي المانيا لا توضع الأعشاب الطبية المستوردة إلا في أكياس خاصة وتختلف عن فرنسا وكذلك أميركا. المهم في مختبرات الأدوية أن يكون "الإنتاج الأول" خالياً ونظيفاً من المواد التي لا تدخل أصلاً في صنع الدواء. إذا أخذنا مثلاً الخيار والبندورة التي ترش بمواد سامة، بعد غسلها لا أحد يسأل عن هذه المواد وتأثيرها وهل هي مضرة أم لا!

من ناحية الوقاية: نقوم بتنظيف الكنيسة وإستعمال الأدوية المنظّفة لأنها – أي الكنيسة – مؤسسة بشرية تسبه البيوت التي تنظّف. وكذلك الأيقونات فإنها تنظّف بمسح البقع عنها. وهذ الأمر ليس مرتبطاً باللاهوت بل بالأمر الطبيعي للحياة.

والكنيسة ليس فقط المناولة والأفخارستيا وإنما هي جسد المسيح ودمه بحضور الجماعة المتحدة بدم المسيح وجسده. ولهذا السبب عندما يقول الكاهن: لنصغِ: القدسات للقديسين يرتل المؤمنون: قدوس واحد رب واحد يسوع المسيح.

الكنيسة مرتبطة بوحدة المؤمنين الذين يتناولون من الكأس الجسد المقدس والدم المقدس فيتحدون مع المسيح.

لذلك فإن المريض لا يذهب إلى الكنيسة بل يقصده الكاهن في بيته يصلّي عليه ويناوله فيشعر المريض بتعزية دون أن يعوّضه ذلك عن الحضور في القداس والمناولة.

يجب أن تكون الكنيسة نظيفة لا غبار فيها "منزّهة عن كل عيب". من هنا يجب عند تدشين الكنيسة دهن حيطانها بالميرون المقدس وتكريس الأيقونات.

إذاً من الناحية البشرية يجب أن تخضع الكنيسة للمنطق البشري. ومن الناحية الروحية هي سماوية نازلة من فوق، ملجأ حصين للمؤمنين في حالات المرض والحزن والتعزية. والرب هو الفاعل في الكنيسة من خلال الجماعة التي اعتمدت وصارت جزءاً من جسد المسيح.

أتحدث الآن عن خبرتي ككاهن. أنا ألتقط مرض الرشح بسرعة وتنتابني أفكار شك عندما أناول المؤمنين في حالات معينة. بعدها أنتبه إلى أنني أعطهم يسوع المسيح ولم يعد في الكنيسة كاهن وأشخاص وإنما هناك رب واحدٌ هو يسوع المسيح. هذه التجربة قد تحصل وهي أفكار تجديف وخاصة عند الكاهن. لهذا السبب فإن الهوس بموضوع المعايير الطبية من الناحية الروحية لا يتفق مع منهجية الكنيسة وروحانيتها. من الناحية البشرية قد يصح تصور ذلك ولكن إذا لم يتحلّ الكاهن بالجهاد الروحي والإيمان الوثيق بأنه يتناول يسوع المسيح وحده، وإذا خامره أدنى شك بأن الملعقة والمناولة والكاس والقربان ستنقل المكروبات أو المرض فإن القداس عندها سيكون باطلاً. البشر يقولون بأن الملعقة تنقل الجراثيم ولكننا في القداس الإلهي لا نتناول المجدرة والفاصوليا ولكننا نتناول جسد المسيح. هناك أمراض كثيرة تنتقل بواسطة اللعاب وإذا إنسقنا إلى المنطق البشري فإننا عندئذ لا نقبل لا الملعقة ولا المناولة من أساسها ويكون المنطق البشري قد سيطر على المنطق الروحي. على المرضى إلتزام بيوتهم ليس لأنهم ينقلون العدوى للبشر في الكنيسة وإنما طلباً من الكنيسة كونها تسهر على الجسم المناعي للناس.

تعرفون أن الكنيسة تمنع دخول الطفل وأمه إلى الكنيسة قبل بلوغ الأربعين وهذا ينطبق على المفهوم اللاهوتي حيث دخل المسيح إلى الهيكل عندما بلغ الأربعين يوماً.

أما من الوجهة العلمية فالمولود حديثاً تكتمل مناعته في اليوم الأربعين ويصير قادراً على التواجد مع الجماعة والتأقلم ككائن إجتماعي بيولوجي. وهكذا نرى أن الكنيسة جمعت بين التفكير البشري والتفكير اللاهوتي. ولم يحدث خلال تاريخ الكنيسة أن انتقلت العدوى سواء من الملعقة أو من الكأس. وها أنا أقول لكم بأنني لم أخرج يوماً من الكنيسة وقد التقطت عدوى الرشح.

التراث الأرثوذكسي: لقد استوفيت الإجابة من الوجهين. ومع أن الجلسة قابلة للاستمرار، إلا أن لأسباب تقنية علينا أن نختم. للمستقبل، أي ما قد نتوقعه، ماذا تقول للناس؟

يقول القديس باييسيوس: لا يكفي أن تختاروا طبيباً مشهوراً وذكياً فقد يخطىء، لذلك مع إختيار الطبيب الماهر عليكم أن ترفعوا صلاة قصيرة قبل إستشارة هذا الطبيب حتى تجعلوا الرب يفعل في هذا الطبيب الذي لا يستطيع أن يقوم برسالته من دون معونة الرب "إن لم يبنِ الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون".

لذلك بدل الإنزواء في البيوت والخوف من الموت وإنتظار نهاية العالم، أحب أن أؤكد لكم أن العالم لن يباد بهذه الطريقة لأنه كف دم ابن الله الوحيد "ولأن الرب لم يخلق شيئاً ليفنيه ويبيده".

إن الله الذي يتدخل في كل أمور العالم ينتظر صلاتنا العميقة والرجوع إليه ويهمه أن يشعر بثقتنا الكبيرة به كونه أباً لنا يرعانا ويحمينا.

لذلك أقول للعلماء والمؤمنين والعالم: العلماء يعملون عملهم والكنيسة تقوم بعملها. وعلى الكنيسة أن تصلي من أجل خلاص كل العالم والرب يسوع لا يُسر إطلاقاً بإرسال البشر إلى الجحيم وهو الذي افتداهم بدمه.

سيأتي يوم يطلب فيه البشر التائبون الرب على طريقتهم الخاصة وعندها يكون المجيء الثاني وفيه يربح الرب يسوع النفوس التي افتداها بدمه.

يقول اوليفيه كليمان: الزهرة لا يبيدها الرب ولا يفنيها والدليل هو أن الأزهار تنبت كل سنة في الأرض بكلمة الله. إذاً الكون بأسره ملك يسوع ومملكته أزلية والمسيح الدجال لا يقدر على النفوس لأن الله يتدخل وهو "ما زال يعمل كل شيء حتى أصعدنا إلى السماء".

على الناس أن يقرأوا الإنجيل طلباً للتعزية ويأتوا إلى الكنيسة علماً أن الخيار لهم لأنهم أحرار. من يأتي إلى الكنيسة يأتي للمشاركة في الأسرار الإلهية ولكن الدولة فرضت قيوداً وفق المنطق البشري واعتبرت الكنيسة "سوبر ماركت". أنا لا ألوم الدولة ذات الفكر العلماني العقلاني. بينما الفكر اللاهوتي مرتبط برؤساء الكهنة. يمكن لأي شخص ضعف عنده الجهاز المناعي أن يضع "الماسك" ولكنني أرجو المطارنة والكهنة أن لا يقذفوا المناولة كطابة التنس لأن ذلك يضعف إيمان المؤمنين ويشكل دينونة على الكاهن الذي حوّل الصينية كلها إلى جسد المسيح وجعل الأرض كلها هي جسد المسيح والكأس سماء ممتلئة من دم المسيح، فكيف يكبّ الكاهن المناولة في فم الناس مخافة أن لا تلامس الملعقة الشفاه. بمناسبة عيد سمعان الشيخ نردّد: إنْ هذه لامست شفتيك تنزع آثامك وتطهرك من كل خطاياك. لن أتمادى بالحديث اللاهوتي ولكنني أشدّد على حرية الإنسان وكيف له الحرية بالمجيء إلى الكنيسة التي لا تمنع أحداً وتسمح للمؤمنين بأخذ التدابير الوقائية. ولكن المناولة خط أحمر ومن يشك بالمناولة فالأفضل أن لا يأتي إلى الكنيسة ويلزم منزله ويسمع الصلاة من بعيد.

أختم بكلمة بسيطة وصغيرة بعد توجيه الشكر لكل من عمل على هذه المقابلة متمنياً أن يكون كلامي نافعاً ومفيداً.

الكنيسة لا تحدّد بالناس المؤمنين الذين يملأون صحن الكنيسة وإنما تمتد إلى كل مخلوق يدخل إلى صحن الكنيسة وإلى قدس أقداسها.

الخطيئة أهم وأخطر من الكورونا وهي أشد فتكاً من هذا الفيروس، لأننا بإرتكابها نخسر الخلاص الموعود، والإنجيل يؤكد أن نخاف الذي يقتل الروح أكثر من خوفنا من الذي يقتل الجسد. إذا أصبنا بالكورونا ونفوسنا محطمة وأجسادنا معطوبة وخسرنا الخلاص الموعود فماذا ينفع حينئذ إن جاء المسيح بذاته أم لا؟ وما معنى مجيء المسيح الدجال؟ فلنرفع قلوبنا وعقولنا إلى الرب ولنكن أبناء صالحين له.